الشرائع السماوية والاسلام

للشيخ
ابوعمر احمد بن محمد

أول ما أمر به رسول الله صلي الله عليه وسلم من ربه حين تتـــزل عليه الوحى :
ــــ * إقرأ بإسم ربك الأعلى .
.. و لأن رسول الله صلي الله عليه وسلم هو القدوة التى تقتـــدى ، فإن ما يؤمر به يندرج على كافة المسلمين ، وعلـــيهم أن يأخـــذوا به و يعملوا على تنفيذه .

لقد جاء الأمر الأول للمسلمين بالقـــراءة للقرآن العظـــيم ، وهـــو أمـــر واجب النفاذ ، وله الأولوية المطلقة على كل القراءات ، فلـــو أجـــريت دراسة على الذين يبدأون حيـــاتهم التعليميـــة مـــن بـــين المسلمين ، وغير المسلمين بتعلم القرآن ، سوف نجد أنهم أكثـــر تفوقا عن غيرهم من الذين بدأوا حياتهم بأساليب تعليميـــة أخـــرى ، اللهم ما ندر ، و شذ عن القاعدة .

و القـــراءة تعنى التعلـــم ، و العـــلم يقوم على البـــحـــث ، و لو رجعنا إلى المصدر الأول للشـــريعة الإســـلامية " و هـــو القـــرآن العظيم " لوجدنا حثا مستمرا ، و دفعا للمسلمين فـــى أغلـــب ســـور القرآن إن لم يكن فى أكثر آياته على : التأمل و التفكـــر و التـــدبر ، فالمولى عز و علا يسأل دائما : أفلا تبصرون ، أفلا تتدبرون ، أفلا تعقلون ، أفلا تعقلون ؟ ...
إذا المطلوب من المسلم أن يكون باحثا متدبرا متأملا عالما متعلمـــا ، و أيضا أن يكون معلما لغيره ، فلا بركة فى علم يحجب عن عامة المسلمين ، و بارك الله فى من تعلم العلم و علمه .

.. و حتى نكون على إتفاق ، فإنى أعلن أن حديثى عندما أجمـــل أقصد به الكافة ، أى المليار إنسان من الذين كتـــب فـــى شـــهادات مولدهم أنهم : مسلمون ، أى يفترض أنهم يدينون بدين الإســـلام ؟ .

إن أول مبادئ العلم أن نتعلم و نعلم :
ـــــ لماذا نحن مسلمون ؟! .
.. و المسلمون غالبا لا يفعلون هذا ، و لا يحاولون أن يفعلوه ..
فكم مسلم من المليار يتعلم العلم ، و يعلمه للغير ؟ .
و كم منهم بحث عن إجابة توضح له تعـاليم دينـه الاسـلامى و سلوك نبيه الكريم لكى يتعلم و يتأسى ؟! .
ألف ..
عشرة آلاف ..
مائة ألف ..
مليون .
.. و الباقون ، الكثرة الكثيرة
مئات الملايين ..
: أين هم ؟ !! .
.. ما دورهم تجاه دينهم و أمتهم ؟ .
.. و هل هم مسلمون حقا ؟! .
إن سبب ضياع الأمة ، كون الناس قـد ولـدوا مـسلمين ، و تركوا من الأهـل ، و من المدرسة ، و من الدعاة ، و أيـضا مـن أنفسهم بلا علم ، و بلا فهم ، فلم يقرأوا ، و لم يبحثوا عـن إجابـة للسؤال :
لماذا هم مسلمين ؟ .
.. لم يحاولوا ، و إكتفوا بما وجدوا أنفسهم عليه ، فلم يعرفوا أعظم قواعد الإسلام ، و هى التى كانت سببا فى رسوخه ، و هى سـر نهضة جدود المسلمين القدامى ، و تألق ذواتهم ، و نهضة دولتهم : فى جميع المجالات : سياسية ، و علمية ، و إقتصادية ..
ذلك لأن المسلمين الأوائل قد سعوا إلى الـتعلم مـن المعلـم الأول رسول الله : محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم ، و حملوا منـه العلم إلى غيرهم ، و لم يضنوا به ، فلقد كانت عقيـدتهم أنـه : لا يكون مسلم مسلما ، إلا إذا كان يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه .

.. و كانت عقيدة راسخة ، ثابتة ، تـنجح بهـا الحيـاة ، و تنهض بها الشعوب و الأمم .
فإذا ما كنا جادين فى سعينا للتقدم ، و النهـوض من هذه الكبـوة المخـزية التى أصبحـت عليهـا أمـة تحمـل على عاتقها أمانة شعـار:
لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .
.. و لا تعمل به ، و لا تدرى عن مقومـات عقيـدتها إلا النـذر اليسير ، و قد يكون هذا النذر محرفا ، و قـد لا تعلـم شـيئا عـن شعارها العقائدى إلا الكلمات نفسها جوفاء يتحرك بها اللـسان فـى ترديد أبله ؛ أما الطامة الكبرى فتتمثل فـيمن يعرفـون مـنهم، و لا يعملون بما أمر به الله ، و هؤلاء هم من حبطت أعمالهم ، و سـاء ما يعملون .
فأى ضياع هذا يا رب ، الذى أصبح يعيشه أشرف عبـادك إسـما و عقيـدة ، و تتـلاعب بهـم أمـم لا تـرقى بعقيـدتها بحـال إلى مستوى الكرامة التى إختص بها الخالق أهـل الإسلام ، و قادة تلك الأمم و علماؤها ، تعلم عن الإسلام ما يصيبهم بالرعب ، خوفا مـن زوال سلطانهم ، إذا ما عرفت أمة الاسلام بحقيقة دينهـا ، فتنتـابهم هواجس شيطانية ، بضرورة الغوص بهذه الأمـة إلـى مـستنقعات الضياع و الهلاك ، و الإهلاك ، من داخلها ، و من خارجهـا ، فهى أمة قد فقدت أهم قواعدها العقائدية ، فقدت :
ـــ القراءة .
فإذا أردنا أن ننهـض فلنعـد إلى كتـاب الله ، فنعـود إلـى طـريق الخـلاص و العزة .
نعود إلى الخالق العظيم ..
إلى ما أمرنا به فنعمله ، و إلى ما نهانا عنه فنهمله .
ـــ * يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ذلك خيرو أحسن تأويلا .
صدق الله العظيم

فتعالوا نبحث معا طريق عودتنا إلى الله بــالتعرف علــى حكمــة العقيدة الإسلامية التى ترتكز على خمسة أركان يكمل بعضها بعضا:
الشرعة الأولــى : شهادة أن لا إله إلا الله ، محمدا رسول الله
الشرعة الثانيــــــة : إقامة الصلاة
الشرعة الثالثـــــة : الزكاة
الشرعة الرابعـــة : الصوم
الشرعة الخامسة : الحج

فإذا ما عملنا بهذه الأركان العظيمة الهدف ، فزنا بحياة ســعيدة ، و بنهاية طيبة تأخذنا إلى الجنة و نعيمها المتصل ، فمـــا الحيـــاة التـــى نحياها إلا إختبار ، يترتب على سلوكنا فيه الإنتهاء : إما إلى جنـــة ، و إما إلى نار .

و لكن لماذا يجعل المسلم الحق عقيدته الإيمانية لبتى لا تتزحــزح هى ثبات ذات الله ، و اليقين فى كون الله مالك كــل شــئ ، و أنـــه فعال لما يريد ، فهو سبحانه وتعالى قوة مطلقة لا تحدها حــدود و لا تقف أمامها قوة أخرى فهو الله القوة الوحيدة التى ليس كمثلها شئ .

.. و هنا يجب أن يكون السؤال : ما مدى حاجتنا إلى الله ؟ .

بسم الله الرحمن الرحيم

* يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولــى الأمــر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ذلك خير و أحسن تأويلا .

صدق الله العظيم

الشرعة الأولى :

بسم الله الرحمن الرحيم
وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ(٥٥) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِي(٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِي(٥٧)إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ(٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِي(٥٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ الَّذِي يُوعَدُونَ(٦٠)

صدق الله العظيم
سور الذاريات

لا إله إلا الله ..

محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم

قبل أن نبدأ معا التأمل فى حكمة الشرعة الأولى من شرائع الإسلام الأساسية وهى التوحيد بالله سبحانه وتعالى علوا عظيما، والإقرار بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه و سلم تسليما؛ يجب أن نتحدث بدءا عن مدى حاجتنا إلى وجود إله، خاصة وأن إبليس قد تواتر على فكر الناس فى أيامنا هذه يملأهم بشعور بالتعاظم، وتورم الذات : ما جعل البعض منا يتساءل : ما حاجتنا إلى الله، ونحن قد ملكنا زمام أمرنا، فالبشر الآن يصنعون الصواريخ ويصعدون بها إلى السماء، ويغزون الكواكب والمجرات، ويطوفون لشهور خارج غلاف الأرض بسفنهم، كما يغوصون بمعداتهم فى أعماق البحار والمحيطات، ويشيدون المبانى سامقات لتناطح السحاب، ويتحكمون فى العناصر فيجردونها من طبيعتها ليجعلوا منها شيئا آخر يختلف تمام الاختلاف عن ما خلقت عليه، فى الشكل واللون والفائدة، ففتتوا الذرة، واستخرجوا من البترول البنزين والزيت والفازلين والمنظفات، وجعلوا جلد الأسود أبيضا، وفصلوا البويضة واحتضنوها فى أنابيب، ثم لقحوها بعد تنشيط الخامل منها، وبهذا تلد من كانت عقيما، و .. وعشرات من النزغات، والوساوس الشيطانية يروج لها إبليس، فبدلا من أن كان فى الماضى يدخل بالكفر على نفوس البشر، بأن يبهرهم بصنم، أو حيوان، أو نار، أو شمس، أو قمر ... وجد أن الطفولة قد نضت عن عقل الإنسان، بعد أن شاعت المعرفة، تماما كما وعد رب البشر الله الواحد علام الغيوب ورثة آدم :

* واتقوا الله ويعلمكم الله

* ... والخيل والبغال والحمير لتركبوها ويخلق مالا تعلمون

ثم نزل لهم الكتاب خاتما يناقش فكرهم، ويقدم لهم براهين الوحدانية، والخضوع لله :

ــــ * إنما يخشى الله من عباده العلماء .

.. ولذلك طور إبليس فكره، وأصبح إبليس العصر يدخل بالشرك والكفر من خلال عبادة النـــاس لـــذواتهم أو ذوات غيـــرهم ممـــن ينبهرون بهم كل الانبهار لما يجرى الله على أيـــديهم مـــن علـــم أو إنجازات، فيظنون أن أمرهم قد أصبح بأيدى أولئك البشر، و لـــيس بيد الله !!! .

والواقع والحقيقة يقولان : نحن دائما فى أمس الحاجة لوجـــود الله، لأن الله إذا غاب عنا ضعنا، ودمرت حياتنا، وضـــاع منـــا الأمـــن، وانتهى بيننا الأمان، وانتفت عنا صفة الإنسان، وأصبحنا ـــ إذا لـــم نكن قد صرنا كذلك ـــ كوحوش الغـــاب يأكـــل القـــوى الـــضعيف، وتصبح السلطة دائما للأقوى بدنا أو مـــالا أو نفـــوذا، ومـــا أبـــشع الإنسان إذا ما جمع عنصرين أو ثلاثة عناصر !! ..

.. ويغيب العدل

.. ويغيب العقل

.. وتضيع كرامة الإنسان .

إن كل ما قيل ويقال عن قدرة الإنســـان المتنامية، وإن بـــدا فـــى ظاهره مغلفا بالصدق، أخاذا بما يشيعه فى النفس البشرية الـــضعيفة من عشق للذات، وبحث عن الخوارق الذاتية، حتى لو كانـــت مـــن وهم؛ إلا أنه فى النهاية غير ذلك، فالإنسان مهما ظهر متعملقا قويـــا فعالا عالما، إلا أنه فى النهاية يقف عاجزا أمام كثير مـــن القـــضايا، ويفقده الله سبحانه وتعالى الكثير من قوته العضلية والبدنية، فإذا مـــا لاحظنا التطور البشرى منذ كان آدم إلى اليوم، ســـوف نجـــد أن آدم كان عملاقا حتى أن طوله كان سبعين ذراعا، وأنه كان يـــستطيع أن يصرع أقوى الحيوانات بضربة واحدة من قبضته، وأنه قـــد عـــاش ألف سنة أو يزيد، وأنه كان من القوة بحيث أنه استطاع أن يـــستغنى عن الآلات والأدوات، بيديه وأظافره لتحقيق مطالبه الحياتية، وأنـــه كان أكثر صمودا أمام ما يهزنا الآن هزا من المواجهـــات الحياتيـــة للطبيعة مثل الزلازل والبراكين والأعاصير والفياضانات، كما وأنـــه كان الأقوى فى إصلاح ذاته المكونة من البدن والنفس لأنه اســـتعان بالله، أما إنسان اليوم صاحب المبتكرات و المعدات والعلوم الطبيـــة

والنفسية والإكلينية والكيمائية، فيكفى أنه ما زال عاجزا عن محاربة أبسط الأمراض التى يبتلى بها فتهده هدا وتقعده محطما عاجزا فى الفراش، لا يستطيع حراكا، ولا سبيلا للعلاج، سواء أكانت هذه الأمراض عضوية يأتى بها فيروس ضئيل الحجم غاية فى الضآلة، لو تمثل أمامه لسحقه بطرف إصبعه، ولكن كيف له أن يصل إليه وهو أكثر ضعفا أمام هذا الضعيف !! ، أو نفسية تنجم عن تشتت فكرى أو غيره من أمراض النفسية التى يبتلى بها الإنسان ، و تنغص عليه حياته ، ويقف أمامها عاجزا عن فعل أى شئ إلا بتناول عقاقير قد تضر به بل هى كذلك، فضررها أكثر من نفعها .

كما وأن الإنسان عاجز كل العجز عن إيقاف حقيقة الموت الذى يباغته دون موعد سابق، ومن وراء علمه، وينتهى بالإنسان دائما إلى الفناء !! .

فإذا ما كان ذلك كذلك، ولم يكن هناك إله يعطى للحياة ديمومتها ما شاء لها أن تكون، فإنه من باب أولى أن تكون الحياة قد انتهت منذ أزمان وأزمان، لأن عنصر الديمومة غير موجود، خاصة فى عصور : التى اجتاحت فيها الأوبئة البشرية فمحتها، والتى اجتاحتهم فيها الكوارث الطبيعية فأتت على الأخضر واليابس، لأنه من المفترض أنه طالما لا يوجد الموجد ــ أى الله ــ فلا ديمومة للحياة، ولا أمل فى بعث وحساب، أو فى حياة آخره، ونعود للمقولة البدائية : إنما هى حياتنا الأولى نموت فيها ولا نحيا ، وما نحن بمبعوثين !.

وهكذا تتساوى حياة البشر بما كرموا به من نعمة العقل والإدراك والإنشاء وتناقل المعرفة، بحياة الأنعام !! .

.. وحتى لو سلمنا ــ ولن نسلم لهم ــ بعدم وجود الله، فلنتأمل مدى حاجتنا نحن البشر فى حياتنا اليومية، وعلاقاتنا البسيطة الشخصية إلى وجوده ، و لنأخذ مثلا.

.. لنتصور أن هناك رجلا به حاجة إلى المال على وجه السرعة فدائنه بيده حكم بسجنه وحبس حريته فورا إن لم يسدد له مبلغ الدين، يستأذن المدين دائنه فى منحه دقائق ليأتى بالمال، ويسارع

بالذهاب إلى صديقه الثرى فى منزله الذى يبعد عن العمران، لينقــذه من الخطر المحيط به، فلا يجده، بل هو قد وجد من فتح لـــه البـــاب الابن الصغير الــذى فــضل أن يبقـــى بالبيـــت ليـــذاكر دروســـه، فالامتحانات على الأبواب؛ هلل الابن مرحبا بالضيف، وأدخله إلـــى البيت، وذهب إلى المطبخ ليعد له كوبا من شراب الضيافة، ويفاجـــأ الضيف بأن الخزانة التى بها المال أمام بصره ، بل هى مفتوحـــة ، أو تكاد، لأن صاحب الدار لم يجد هنالك حاجة للتحوط، خاصة وأنه ليس بالبيت غريب، ترى فى مثل هذا الحال :

ـــــ ما الذى يحول بين الرجل و المال ؟

ـــــ هل هو القانون ؟ .

: لا .. فالقانون غير موجود، لأنه لا يوجد شرطى، كما و أنه ليس هناك شهود، ولا دليل مادى عليه لو لف يده فى قطعة قماش وأخـــذ ما يريد بسرعة، ثم عاد لينتظر الابن فيتناول ما يحضره لـــه مـــن واجب الضيافة، ثم ينصرف آمنا، فإذا ما سئل أنكر فهو أهـــل للثقـــة !!.

الطريق سهل وميسور أمام الرجل لكى يهتبل المال، لتنتهـــى كـــل المشاكل، وتنتهى مطاردات الدائنين، ويسقط سيف الـــديون المـــسلط على رقبته وعلى مستقبله ليل نهار.

إن الإغراء كبير، كبير، والطريق ممهد، ولا دليـــل مـــادى، ولا رقيب ولا حسيب من البشر، بل لو اقتضى الأمر سوف يقتل الرجل الصبى، ويخرج سالما غانما بكـــل مـــا فـــى الخزانـــة مـــن مـــال ومجوهرات، ولن تحوم حوله الشبهات، فلقـــد جـــاء فـــى الظـــلام، و سيارته تركها على مبعدة بعد أن فضل المسير لكى يصفو ذهنـــه، إذا ماذا يمنعه غير يقينه بوجود رقيب حسيب ؟ .

هو الله الذى لا يغفل، ولا ينام .

هذا هو الموقف، وهـــو نمـــوذج لآلاف المـــــواقف الـــشبيهـــة، والمتعددة، التى تطارد الإنسان بالخطيئة ليل نهار، ولكنـــه لا يقـــدم، وإن أقدم ولم تدركه يد العقاب والحساب فى الدنيا فهو على يقين من كونها سوف تدركه فى الآخرة .

ومن هنا كانت حاجة البشرية على مدى عمرها إلى الله لــصالحها هى، وحفاظا عليها، وعلى سلامة بقائها، وليس لحاجة الله إلينا .
ومن هنا كان قول ربنا سبحانه وتعالى :
بسم الله الرحمن الرحيم
و ذكــر فــإن الذكــرى تنفـــع المــؤمــنــين *و مــا خلقــت الجن و الإنــس إلا ليعبدون *مــا أريـــد منهـــم مـــن رزق ومــا أريـــد أن يطعمون * إن الله هــــو الرزاق ذو القــوة المتــــين*

صدق الله العظيم

سورة الذاريات

.. ورغم هذه الحاجة الشديدة من الإنسان لوجود الله، فإن الله فى غير حاجة إلى البشر جميعا ولا إلى غيرهم من المخلوقات، لأنه هو جل وعلا القادر فوق مخلوقاته، فهو الخالق، المنشئ لكل هذا الوجود، هو من يرزقهم، وهو من يحييهم، وهو من يميتهم، وهو من يبعثهم من القبور، وهو من يحاسبهم، وهو رغم كل معاصيهم ومعصيتهم من يتوعدهم بالرحمة، والمغفرة، فهو الله القادر، لا قادر إلا هو ، ولا إله سواه .

يقول ربنا :

وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .

أى لم يخلق الجن و الإنس إلا ليكونوا عارفين لله، فيتصفون بصفة العبودية له هو : لله وحده ، و لا يشركوا فى عبادته أحدا ، فهو الواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، لم يلد و لم يولد ، و لم يكن له كفوا أحد ، فيفعلوا ما يؤمرون، وينتهوا عما ينهون عنه، ولقد كان هذا الأمر بالفعل، وذاك النهى عن الفعل، يأتيان عن طريق رسل وأنبياء، يختصهم الله من بين الناس ليكونوا حلقة الوصل بينه وبين عباده، و ذلك لأن الإنسان خلق نسيا، لا بد من مداومة تذكيره رحمة من الله، فلقد توعد العدل مخلوقاته بالتذكير والتحذير .

يقول ربنا :

* و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا .

سورة الإسراء

لقد خلق الله الإنسان وطبعه على الخير، ثم كان إبليس مصدرا للشر يزين له الخطيئة من خارج نفسه، و من داخل نفسه، أما الروح فهى سر الحياة، وهى طاهرة مطهرة من أمر الله .

وعداء إبليس للإنسان قديم، قديم :

منذ رفض إبليس أن ينفذ أمر الخالق ويسجد لآدم الذى خلقه الله من طين، ثم نفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، فلقد جاء خلق آدم من أديم الأرض، بينما خلق إبليس من مارج من نار ! .

.. عصى إبليس ربه لما أصابه الكبر، وأنزل الله غضبه عليه، وطرده من الجنة .
أشتد كره إبليس لآدم، وجعل جل هدفه، وغاية أمنيات حياته أن يترصد الإنسان، ويوسوس له بما ينغص عليه، بأن يدفعه إلى معصية الخالق، ليورد الإنسان ما أورد هو من الهلاك، والعذاب، يقول ربنا:
بسم الله الرحمن الرحيم
قل أعوذ برب الناس *ملك الناس *إله الناس *من شر الوسواس الخناس *الذى يوسوس فى صدور الناس *من الجنة و الناس * .

سورة الناس

هكذا علم الله الإنسان، وأخبره بحقيقة عدوه، إخبارا متصلا لا ينقطع، لأنه مكتوب فى قرآن الله العظيم، الذى وعد سبحانه وتعالى بحفظه، على مر العصور، ما دامت الحياة، وإلى قيام الساعة، ليكون مخلصا لمن يبحث من بنى الإنسان عن سبل رضى الله، وخلاص النفس و البدن من أدران الدنيا .
هو إذا صراع أزلى بين الإنسان الذى خلقه الله خيرا بفطرته، وبين الشيطان الذى يفسد عليه بالشر والفساد عمله فى الدنيا .
قد يسأل سائل : ولماذا يكون الإنسان أحيانا شيطانا، يظهر كراهية، ولا يفرز غير الأذى للحياة والناس، حتى أنه ليكون أبشع من الشيطان نفسه ؟! .
وأقول مستخلصا قولى من قول ربنا، فى قرأنه الكريم :
إن الإنسان فى هذا الحال، وإن كان فى مظهره إنسانا، إلا أنه قد تلبسه الشيطان، فأصبح يأتمر بأمره، ويفعل فعله موسوسا، مثله فى هذا مثل الشيطان، وإن ظل فى صورته الآدمية فيصدق فيه قول ربنا، وبالله نعوذ : من شر الوسواس الخناس * الذى يوسوس فى صدور الناس * من الجنة والناس " ،، .. وصدق الله العظيم
..كما وأن لإبليس قرناء من بين الناس، وهنا يصدق قول من سأل، بعد أن رأى الشر يتمكن من بعض الناس، يقول ربنا:

بسم الله الرحمن الرحيم
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين*
ســــــــــــورة

الزخرف

..ومن خلال الإخبار، والإعلام، والتحذير : بينت " السورة " سبل الخلاص من العدو الأول والأزلى للبشرية، والتخلص منه سهل، لو خلصت النوايا، وحسن الإسلام، فهو مجرد قول، وإستعاذة، أى إستنجاد بالخالق، ثم قبل هذا وذاك، ومنذ البدء بين الله سبحانه وتعالى بأنه ــ أى : إبليس ــ ليس له سلطان على عباد الله .

بسم الله الرحمن الرحيم
إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون *
إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون *
سورة النحل

.. ولأن إرادة الخالق جعلت الحياة مختبرا نعبر من خلاله إلى الحياة الآخرة، إما إلى جنة، وإما إلى نار، كان لابد من وضع سبل الهداية والرشاد للبشرية، وسميت بالدين، وكما قال ربنا :
إنما الدين عند الله الإسلام .
ولكى نجتاز هذه الحياة القصيرة كل القصر، إلى حياة أفضل بكثير ــ بإذن الله ــ وبسعى العاملين منا، علينا أن نفعل فعل المسلم .

.. لقد بنى الإسلام على خمس :
شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله .
وإقامة الصلاة .
وإيتاء الزكاة .
وصوم رمضان .
وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا .

.. وحتى تكون أفعالنا عن عقيدة ثابتة راسخة ، سوف نحاول معا أن نستلهم القرآن العظيم، وسنة نبينا الكريم، الأسباب التى من أجلها فرضت هذه الفرائض، راجين من الله جل وعلا أن يوفقنا لأن نعمل بشرعته، وأن نتخلص من حب الحياة الذى أورد الكثرة من موارد الهلاك، فجعلنا نتخذ أربابا من دون الله، من رؤساء، ومال، وولد، وصاحبة، حتى غابت عنا الحقيقة الإسلامية، ولم نعد نسلم الوجه لله، وأسلمنا قيادنا لأنفسنا، وأمرنا بالسؤ، فساء حالنا، فاللهم إنى أسألك أن تبعث من قدرتك ما يصلح حال أمة رفعت شعارا فيه خلاصها، ولم تعمل بما ترفع، فوقعت فى السيئتين : سوءة الجهل، ومطاردة أعداء دينك لهم خوفا من اقترانهم بالإسلام .

اللهم اجعلهم على قولة : لا إله إلا الله محمد رسول الله، قولا وعملا وعقيدة، إنك تعاليت على كل شئ قدير .

هو الله الواحد :

.. علينا أن نفكر فى ذات الله :

هو الله كما دلت أسماؤه، هو كان قبل أن يكون شئ من حياة وموجودات ..

هو الله : الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، الباسط، القابض، الرافع، الخافض، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلى، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوى، المتين، الولى، الحميد، المحصى، المبدئ، المعيد، المحيى، المميت، الحى، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالى، المتعال، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرءوف،

مالك الملك، ذو الجلال والإكـــرام، المقـــسط، الجــــامع، الغنـــى، المغنى، المـــانع، الباقى، الوارث، الرشيد، الصبور .

هو الله، لا إله إلا هو، مالك الملك، بيده كل شئ، وإليه المصير .
فإذا ما نظـــرنا إلى الصفة الأولى سنجـــد أنها :
ـــــ الوحدانيـــة .
فعقيدة المسلم الراسخة هى التوحيد، فالله سبحانه و تعـــالى يغفــــر الذنـــوب جميعا، إلا أن يشرك به .لو كان فيهما آلهة إلا الله لفـــسدتا * .

سورة الأنبياء
ودخول شريك لله ، هو دخول لفساد العقل، لأنه يمكن الشيطان مـــن السيطرة على الإنسان من خلال فساد العقيدة.
: و هل بعد الحق إلا الضلال ؟ .
و قد قال ربنا:
و إن الشرك لظلم عظيم
.. وحاشا لله أن يكون المعنى ظلم لذاته العليا، ولكنـــه ظلـــم مـــن الإنسان لنفسه، ولغيره، لأنه كما قلنا سيعود عليه، وعلـــى مجتمعـــه بالضرر، وسوف يجعل من يرتكب جرم الشرك هو الظـــالم لنفـــسه، وللحياة من حوله.
الله واحد:
لأن قيادة كل هذا الكون الذى إذا اختلت جزئية من مكوناتـــه دمـــر تمام التدمير، تحتاج إلى توحد فى القيادة.
وليس أدل على ضرورة أن يكون القائد واحدا من كـــون المـــسئول عن القيادة فى أى شئ متحرك، مثل السيارة، أو السفينة، أو الطائرة :واحد.
فإذا ما كان الحـــال كذلك، أليس من المنطـــق أن يكون قـــائد كـــل ذاك

الكـــون العظيم بما يحتويه ــ ممـــا ندركـــه ــ مـــن : ســـماوات، وأراضين ، وإنس، وجان، وحيوان، وزرع،وأنهـــار، ومحيطـــات ، وبحار : واحـــــد .
لذلك كانت عقيدة المسلم الأولى : لا إله إلا الله.

: الرزاق .
يرزق من يشاء من عباده، فأمر الرزق مقدر، ولا يملكه إلا الله، وقد أختص به ذاته، وإن سخر له المسبب مـــن أنـــاس، أو تجـــارة، أو صناعة، أو غيرهم من الأسباب التى لا تتحقق إلا بالعمل، وفى هـــذا الشأن يقول ربنا :

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

سورة التوبة

..والفارق كبير بين من يعمل وهو مسلم قد استقر الإسلام فى قلبـــه، وبين من هو غير مسلم، يقول ربنا:
فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيـــسره للعسرى .

سورة الليل

أما الأصل الذى يرد إليه الرزق، فهو : الله .
وفى من يقضون حوائج العباد وأرزاقهم من الناس، قال عنهم الحبيب المصطفى صلي الله عليه وسلم : لله من عباده أنـــاس أختـــصهم الله بقضاء حوائج العباد .. أولئك الآمنون من عذاب الله يوم القيامة .

.. و لن أستطرد فى الحديث حول باقى صفات الله ، و إلا لأوقفـــت عمل الدعوة الأولى : إقرأ.

و على القارئ أن يعود إلى أســـماء الله ، فيتأملهـــــا متـــــدبرا ، و مكتشفا ، ونعمل بذلك أيضا دعوة ربنا فى قوله سبحانه و تعالى :

* أفلا تتدبرون القرآن ؟ .
محمد رسول الله :
محمد :
هو الشق الثانى من العقيدة الأولى للمسلم ، و رسولنا و نبينا صلي الله عليه وسلم ، هو الوحيد من بين كل من أوحى إليهم، الذى أقترن اسمه باسم الله تعالى قدره وعزت منزلته .
وإلى جانب أن هذا الاقتران من إرادة الله، ولأن الله ما أوجد أمرا عبثا، نقول :
إن الاقتران جاء لأن سيد الرسل صلي الله عليه وسلم خلقه الله ورباه ليكون القدوة التى تقتدى من المسلمين، فجعله نموذج لما يجب أن يفعل المسلم الحق، وقوله ملزم لأنه متمم، ومبين لقول الله العلى العزيز، وهو قول من عند الله أوحى به رب العالمين لنبيه ورسوله : محمد صلي الله عليه وسلم .
إذا فاقتران أسم الحبيب محمد صلي الله عليه وسلم ، هو للإقتداء برسول الله صلي الله عليه وسلم ، وبالتالى هو إلزام للمسلم بأن يقرأ، ويسأل ليعلم عن خلق وعمل رسول الله و نبيه صلي الله عليه وسلم لكى يتبعه، وليقتدى به، فيصح إسلامه، ويأمن همزات الشياطين، وفساد العقيدة، وفساد الحياة، وما يتبع ذلك من سؤ المنتهى والعياذ بالله .
يقول ربنا :
لمن كان يرجو الله واليوم الأخر وذكر الله كثيرا* .
سورة الأحزاب
ومن أسمائه وصفاته التى هى وصف لأعماله صلي الله عليه وسلم :
الحامد : فهو دائم الحمد لله .
الرحمة : فهو رحيم بالحياة والأحياء، ولم يكن فظا ولا منتقما، بل كان يعفو ولا يغضب لنفسه، وإذا غضب تكون غضبته لله .
الأمين : فهو طيلة حياته أمين مع نفسه، أمين مع الناس، أمين مع ربه فى توصيله للرسالة .

الصادق : فهو صادق لم يجرب عليه كذبا .
الأبلج : فهو مشرق الوجه صبوح، سمح كريم.
الأبيض : فهو سخى جواد.
الأبر : فهو محسن، والكلمة اسم جمع للخير.
الأتقى : فهو كان يتقى الله فى أقواله، وأفعاله.
الأجود : فهو أكرم بنى أدم.
الأجير : فهو سيجير الناس يوم القيامة، ويشفع لهم.
الأزكى : فهو الأكثر طهرا .
الأزهر : فهو الأكثر رونقا وبهاء .
الأشد حياء من العذراء فى خدرها : وذلك لبعده عن كل ما هو قبيح
.

.. وعلى المسلم الذى يريد أن يحسن إسلامه، أن يقرأ كتب الحديث، وكتب السيرة النبوية .

إن الله وملائكته يصلون على النبى :
يا أيها الذين ءامنوا صلوا عليه و سلموا تسليما * .
سورة الأحزاب
صلى الله عليك وسلم تسليما يا حبيبى يا رسول الله .

الشرعة الثانية :
العقيدة الثانية :

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الصـــــــــلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا *
صدق الله العظيم

الـــوضـــــــــوء :

إذا كان بينك و بين من تحب موعدا ، فماذا تراك فاعل قبل لقائه ؟ .

سوف تحاول ــ دون شك ــ أن تكون فى أحسن صورة ، ســتختار أحسن الملبس ، ستضع القليل أو الكثير من الطيــب ، و بــلا شــك سوف تغتسل إن لم تستحم .

.. و سوف تكون مستحضرا صورة مــن تحــب أمامــك طيلــة إستعدادك للقائه ! .

.. و هكذا حال المؤمن فى الوضوء .

.. فالوضوء هو الطهر و التطهر ، و ليس المقصــود به النظافــة الجسدية وحدها ، لأنه يشمل النظافة الداخلية ، أى النفــسية للمــسلم بتطهر النفس ، إستعدادا للوقوف بين يدى الله .

إن إنسيال الماء على أعضاء بدن المسلم يحدث عنده إحساسا بــأن قاذورات جسده تنسل مبتعدة ، تغادره ، و تتخلص منها أعــضاؤه ، كما و أن الأدعية التى يرددها طالبا من ربه أن ينقيه من الــنجس و الخبث و الخبائث ، و يطهره تطهيرا ، تحــدث مــن الخــشوع ، و القنوت ، ما يجعله مشتاقا للقاء الــرحمن الــرحيم ، التــواب العفــو الغفور الكريم ، راجيا تجاوزه سبحانه و تعالى عن ما إرتكــب مــن هفوات و أخطاء و طايا .

و لأننـــا نسعى للإقتــداء برسول الله صلى الله عليه و سلم ، سوف نتتبع ما كان يفعله فى وضوئه من خلال إتفاق الأئمة :

يبدأ المسلم و ضوأه مسميا : بسم الله الرحمن الرحيم

ثم يتبع الخطوات الآتية مكررا كل خطوة ثلاث مرات :

غسل اليدين

المضمضة

الإستنشاق

غسل الوجه

غسل الذراعين
مسح الرأس
مسح الأذنين
مسح العنق
غسل القدمين
غسل اليدين .

التيـــــــمم :

و التيمم هو طهر و بديل عن الوضوء ، و للتيمم شروط شرع مـــن أجلها تخفيفا عن المسلمين ، و مشروعيته للأسباب التالية :

من لم يجد ماء بعد أن إجتهد فى البحث عنه ، بشرط أن لا يـــشق على نفسه فى طلبه .

من لا يستطيع إستخدام الماء رغم وجوده بسبب مرض يمنعـــه مـــن إستخدامه ، لأن إستخدامه سوف يزيد المرض ، أو سيؤخر الشفاء .

من وجد الماء عنده ، و كان قعيدا ، أو مريضا لا يستطيع أن يخـــدم نفسه ، و لم يجد من يساعده .

و قد يسأل سائل :

ـــ و ما حكم الشرع ، إن كان الماء موجودا ، و لـــم يكـــن كافيـــا لإتمام الوضوء ؟ .

.. و نقول له ، تطهر بهذا القليل ، و طهر به مـــا إســـتطعت مـــن أعضائك ، ثم تيمم بالنسبة لباقى الأعضاء ، إعمالا لقول ربنا :
فإتقوا الله ما إستطعتم .

و التيمم يكون بالتراب الجاف الطاهر المعروف ببعده عن النجاسة ، و تضرب الكفان على التراب و :
يمسح الوجه ، و الكفين .
ثم تكون الضربة الثانية و الأخيرة و :
يمسح الذراعين ، و الكفين .

و التيمم جائز و مستمر طالما بقى سببه ، أما إذا إنتفى السبب قبل إقامة الصلاة ، بتيسر الماء ، بعد عسره ، أو بإنتهاء أى من الأسباب السابقة ، فإن على المتيمم أن يتوضأ بالماء ، و يبطل تيممه .

و إذا كان قد أجيز للمتوضئ بالماء أن يواصل صلواته ، بوضوء واحد ، فإنه :

يلزم للمتيمم أن يعيد التيمم عند إقامته كل صلاة .

و للمتيمم كل ما يباح للمتوضئ ، من صلاة ، و قراءة للقرآن ، و مكوث بالمساجد .

الصلاة :

لقد فرض الله الصلوات الخمس على المسلمين فى شهر رجب من السنة الأولى قبل الهجرة ، ليلة أن أسرى برسول الله صلى الله عليه و سلم ، و عرج به إلى السموات العلا .

.. و إنه لشرف عظيم يناله المسلم بأن شرع له الوقوف بين يدى الله خمس مرات كل يوم ، و قد يكون هذا المسلم من الحصافة و الكياسة ، ما يجعله ينال هذا الشرف أكثر من عدد هذه المرات بما يؤدى من صلوات السنن و النوافل .

الشرعة الثالثة :

الزكـــاة
تطهير المال بالحب

بسم الله الرحمن الرحيم
و الذين يكنزون الذهب و الفضة و لا ينفقزنها فى سبيل الله
فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى
بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم
فذوقوا ما كنتم تكنزون *

سورة التوبة

إن الزكاة فى الاسلام هو ما استحدث فى النظم الاقتصادية الحديثة تحت اسم الضرائب ، و لكنها هنا تنبع من فلسفة ايمانية عند أدائها فهى تدفع عن رضى و طلبا لرضى الاعز الله رب العالمين ، و تطهيرا للأموال و الأبدان و الزرع و الحيوان و الدار و الدابة و كل ما يحيط الله به عبده من نعم و يختصه من خيرات إنها هنا تقدم بامتنان و شكر لله رجاء أن يتقبلها فتحل بركات الله على حياة دافعها ،

الشريعة الرابعة :

النبي صلى الله عليه و سلم صيام

الصيام وبيان علاقته بالأخلاق تعريف

الصيام لغة: الإمساك عن الشئ والترك له، ومنه قيل للصمت: صوم؛ لأنه إمساك عن الكلام، قال الله تعالى (إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم أنسياً)

[مريم: ٢٦].

قال أبو عبيده(١): كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم"(٢).

أما شرعاً فهو: عبارة عن إمساك مخصوص، وهو الإمساك عن الأكل والشرف والجماع من الصبح إلى المغرب مع النية(٣).

ويقال أيضاً: الإمساك عن المفطرات الحسية والمعنوية جميع النهار بنية.

الصيام بالأخلاق علاقة

الصوم من شرائع الإسلام العظيمة التى شرعها الله تعالى للأمة الإسلامية كما شرعة على من قبلها، وهو من الشرائع الرامية إلى تزكية النفس ورياضيتها على مكارم الأخلاق من القناعة والزهد والأمانة، والبعد عن رذائلها من الجشع والخيانة والسباب والفواح التى تنافى الصوم.

قال العلامة جمال الدين القاسمى(٤): "إعلم ان مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة، والفطر المستقيمة شرعه الله لعباده رحمة لهم، وإحساناً إليهم وحمية وجنة، قال: فإن مقصود الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطمها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية لتسعد بطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضييق مجارى الشيطان من العبد، بتضييق مجارى الطعام والشراب، وحبس قوى الأعضاء من استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها فى معاشها

ومعادها، ويسكن كل عضو منها، وكل قوة عن جماحها، وتلجم بلجامه فهو لجام المتعين، وجنة المجاهدين، ورياضة الأبرار المقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئاً، إنما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وملذوذاتها إيثاراً لمحبة الله ومرضاته، وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه"(٥).

قلت: وهذا ما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾- [البقرة: ١٨٣]

إذ دلت الآية على أن الصوم يورث التقوى، كما يفيده تعليل فريضة الصوم به، والمعنى: ليحصل لكم التقوى بالصوم فإنه يورث التقوى لما فيه من انكسار الشهوة، وانقماع الهوى، فإنه يردع عن الأشر والبطر والفواحش، ويهون لذات الدنيا ورياستها، ويكسر شهوة البطن والفرج، وذلك جامع لأسباب التقوى، قال الفخر الرازى: " فيكون معنى الآية: فرضت عليكم الصيام لتكونوا به من المتقين الذين أثنيت عليهم فى كتابى"(٦). "ولعل فى مقام الله جل جلاله تفيد الوجوب، لأنها وإن كانت للترجى والإطماع فى أصل وضعها، إلا أنه إطماع من كريم فيجرى مجرى وعده المحتوم وفاؤه"(٧).

والتقوى التى يثمرها الصوم قد علق الله تعالى عليها خيرات عظيمة، وسعادات جسيمة فى كتابه العزيز، منها: معيته التى تعنى الحفظ واللطف كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾- [البقرة: ١٩٤].

ومنها: العلم اللدنى كما قل جل شأنه: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ ﴾- [البقرة: ٢٨٢].

ومنها: المخرج من كل شدة، وتيسير الرزق من حيث لا يحتسب المرء كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾- [الطلاق: ٢-٣].

ومنها: تكفير السيئات وتعظيم أجر الحسنات كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً ﴾- [الطلاق: ٥].

إلى غير ذلك من الخيرات الجسيمة المترتبة على التقوى التى أشار إليها القرآن الكريم(٨) والتى جعل الصيام من أسباب حصولها، لكونه موجباً لاتقاء المعاصى؛ لأنه يعدل القوى الطبيعية التى هى داعية الفساد، فيرتقى المسلم به عن حضيض الانغماس فى المادة إلى أوج العام الروحانى، فهو وسيلة للارتياض بالصفات الملكية، والانتفاض من غبار الكدرات الحيوانية(٩).

القرآن الكريم بالصيام عناية

ولأجل ذلك الأثر العظيم الذى يثمره الصوم فى ذكاء الأخلاق، كانت عناية القرآن الكريم به كبيرة إيجاباً له فى رمضان وفى غيره، وحثاً عليه، وتنويهاً بأهله فى آيات كثيرة.

إيجاب الصيام في القرآن الكريم:

أما إيجاب الصيام فإنه لما كان على ذلك النحو من عظمة الأثر فى تزكية الأخلاق، وترويض النفس على مكارمها،

وكان شاقاً على النفس لما فيه من كبح لجماحها، واسترسالها فى اللذات والشهوات، أو لما يشغلها عنه من واجبات الحياة، المقتضية لإشباع البطن بما تحتاجه من الأكل ونحوه، فكانت الدواعى إلى تركه قائمة وكبيرة، مع عظيم أهميته وبالغ أثره وكبير ثمرته.

لما كان الأمر كذلك، جعل الله تعالى الصيام فريضة إلزامية، وركناً رابعاً من أركان الإسلام فقال تعالى: ﴿ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾- [البقرة: ١٨٣-١٨٥].

ففى هذه الآيات يبين الله تعالى لعبادة أنه افترض عليهم الصيام فى أيام معدودات قلائل، هى شهر رمضان، الذى اختصه من بين الشهور بإنزال القرآن فيه، وبليلة القدر التى هى خير من ألف شهر.

وقد بين افتراضه عليهم أولاً بأسلوب الخبر، وثانياً: بصيغة الأمر، وذلك للدلالة على أهمية ذلك المفترض وحتميته، ولذلك لم يكن لأحد عذر فى ترك صيام هذا الشهر إلا إلى بدل من صيام أيام أخر، أو فدية إطعام بعدد الأيام عند العجز

عن الصيام كلية، لكبر أو مرض مزمن لا يرجى برؤه، وفى تكرار التنصيص على (عدة من أيام أخر) عند العجز عن صيام أيام رمضان كلها أو بعضها، دلالة على تأكيد طلب الشارع له، وعدم تنازله عن مطالبة المسلمين به إلا فى حالة العجز المستمر من كبر أو مرض أو حمل أو إرضاع، كما دلت عليه السنة، فعندئذ أجاز الانتقال إلى الفدية، وذلك لما فى الصوم من عظيم الفائدة فى إصلاح النفس البشرية واستقامة أحوال الأمة الإسلامية.

حثه عليه:

ولذلك لم يفتأ يذكرهم بهذه الفائدة حيث يقوم فى علية الصوم (لعلكم تتقون) (لعلكم تشكرون)، ويرشد أهل الأعذار بترك الصيام بقوله: (وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون)، أى عظيم الأجر وجليل ثمرة الصوم فى استقامة الأحوال وكرم الأخلاق.

ويقول لهم: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) للدلالة على أنه ما حمله على الترخيص بالإفطار عند الأعذار، إلا إرادة اليسر بهم تمشياً مع أصل منهجه فى تيسير الشريعة، وإلا لم يكن ليعدل عن طلبه بالذات حتى عند العجز عنه، لما يعلمه فيه من عظيم الأجر والأثر فى الدنيا والآخرة والله أعلم.

في غير رمضان ليكون كفارة عن الإساءات إيجابه

ولما كان الصيام بهذه المثابة من عظيم الفائدة وجزيل العائدة، اختاره الشارع لأن يكون كفارة وجبراً لبعض الإساءات المخلة بالدين، التى قد يرتكبها المرء فى حياته فى عباداته أو

معاملاته أو سلوكه، وذلك ليهذب النفوس ويربيها على عدم العودة إلى مثل تلك الإساءات، لما فى الصوم من كبح لزمام النفس الأمارة بالسوء، وإعادة لها إلى الطهارة والنقاء والتزكية، إن كان مستوفياً لشروطه وآدابه الآتى بيانها فى التطبيق إن شاء الله تعالى.

ففى ما يتعلق بالإساءة فى العبادات، وذلك فى الحج، أوجبه فى موضعين:
الموضوع الأول: فى الإساءة فى الحج بارتكاب محظور من محظورات الإحرام كالحلق ونحوه، أوقتل صيد الحرم، أو أى صيد برى وهو محرم.

الموضع الثانى: عند الترفه فى الحج بالتمتع أوالقران(١٠) حيث يعجز عن الهدى.

أما الموضع الأول، وهو الإساءة فى الحج بفعل محرم من محرماته التى هى من باب الإزالة أو الترفه كالحلق والطيب ونحوهما(١١)، فقد أوجب الله تعالى جبر ذلك بواحد من ثلاثة أشياء على التخيير: الصيام أو الإطعام أو الذبح، وذلك بقوله سبحانه: ﴿مَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾- [البقرة: ١٩٦].

فجعل الصيام أولها؛ لأنه أعظم الثلاثة أثراً فى استقامة السلوك فى المستقبل، إضافة إلى عظم أجره، وهذا فيما إذا كانت الإساءة بفعل شئ يتعلق بجسده.

أما إذا كانت الإساءة بفعل محرم من محرمات الإحرام المتعلقة بغيره، مما يؤذن انتهاكها بعدم تعظيمه لشعيرة الحرم

أو الإحرام، وذلك كقتل صيد البر وهو محرم، أو قتل صيد الحرم مطلقاً، فقد أوجب الله تعالى واحداً من ثلاثة أمور مرتبة: هدياً بالغ الكعبة إن كان الصيد مما له مثل فى بهيمة الأنعام، فإن لم يكن له مثل فيقوم الصيد اثنان ذوا عدل، ويخرج القيمة فيشترى بها طعاماً يصرفه على مساكين الحرم، لكل مسكين مد.

فإن عجز عن ذلك عدل إلى الصيام فيصوم بعدد الإمداد التى تبلغها القيمة المقدرة للصيد مهما بلغت كثرة، كما دل على ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾- [المائدة: ٩٥].

فجعل الصيام واحداً مما يفدى به عن تلك الإساءة، وجعله منوطاً بعدد الإمداد التى كان يمكن للقيمة المقدرة لو وجدت أن تشتريها، ومعلوم أنه قد يكون الطعام رخيصاً كما فى هذه الأيام، فكم تبلغ الإمداد لو كانت القيمة مائة أو مائتين أو أكثر؟ لاسيما مع ارتفاع أسعار مثل هذه الحيوانات البرية من صيد ونحوه كما هو معلوم وملموس.

لذلك كان هذا الجزاء وبالاً على صاحبه، أى ثقيلاً وشديداً عليه، ولكنه يتلاءم مع سوء الصنيع الذى اقترفه من هتك حرمة الحرم أو الإحرام.

وإنما اختار الله هذا الجزاء الثقيل ليكون ثوابه جابراً لما انتهك من حرمة، وليقوم سلوك المرء مستقبلاً، ولذلك إذا لم يستقيم

سلوكه بعد هذا الجزاء المؤلم الثقيل فعاد إلى انتهـاك حرمـة الإحرام، فإن الله تعالى قد آذنه بعقوبة لا طاقة له بها، وهـى الانتقام (ومن عاد فينتقم الله منه) لأنه بعدئـذ يكـون معـوج السلوك، لا يصلح إلا بالجزاءات الرادعة المربية، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾– [المائدة: ٥٠].

أما الموضع الثانى، وهو ما إذا عجز عن هدى التمتع ومثلـه القرآن، فإن الله تعالى قد جعل له بدلاً عن ذلك، وهو صـيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى بلده كما قال سبحانه: ﴿(فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾– [البقرة: ١٩٦].

فجعل الصيام بدلاً عن الهدى عند فقده أو العجز عنه، لما فى الصيام من الكفاية والسداد لما يؤديه الهـدى مـن الجبـران، ولذلك قال: (كاملة) "أى: كاملة فى الثواب لسدها مسد الهـدى فى المعنى الذى جعلت بدلاً عنه"(١٢).

فانظر كيف جعل الصيام جابراً لما يقع فى النسك من تقصير أو إساءة، وذلك لما فى الصوم من الوفاء بذلك النقص لعظيم أجره، ولما فيه من تعديل للخلق وتقويم له، فيحمل صـاحبه إلى عدم العودة إلى مثل تلك الإساءة أو التقصير، لما يـورث فى صاحبه من التقوى.

إيجاب الصيام عقوبة على الإساءة في المعاملات الاجتماعية:

وكما أوجب الله تعالى الصيام على الإساءة فى بعض العبادات وهى الحجج، فكذلك أوجبه على الإساءة فى بعض ما يجرى بين المسلمين من المعاملات وذلك كالإساءة بالقتل، أو الظهار، أو الحنث باليمين.

فإن الله تعالى أوجب على الإساءة فى هذه الأشياء كفارة لتكون جابرة لعظم تلك الذنوب ومقومة لأخلاق المسلم وسلوكه وجعلها موازية فى الشدة لعظم الجرم الذى اقترفه لتكون كفيلة بتقويم خلقه، وجابرة لعظم ذنبه. ١- فالقتل جريمة كبيرة يقترفها المرء فى حق أخيهن توجب له المقت والغضب، أو التخليد فى النار، لذلك أوجب الله تعالى فيه القصاص إن كان عمداً عدواناً، أو الدية إن رضى أولياء المقتول بها، وبالإضافة على الدية أوجب الله تعالى الكفارة العظمى، وهى عتق رقبة مؤمنة، فإن عجز عنها وجب الانتقال إلى صيام شهرين متتابعين، لا يقطعهما بفطر يوم واحد، فإن قطعهما بفطر يوم انقطع التتابع، ووجب الاستئناف، ما لم يكن هناك عذر شرعى مبيح للفطر كالحيض والنفاس مثلاً، وسواء فى هذه الكفارة القتل العمد والخطأ، وقتل المسلم أو الذمى، فيجب فى كل بالإضافة إلى الدية إن لم يكن قصاص، تلك الكفارة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً

فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّــهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾- [النساء: ٩٢].

فانظر كيف انتقل القرآن الكريم بالكفارة من العتق عند العجز عنه لتعذر الحصول عليه أو على قيمته إلــى الــصيام، وأى صيام؟ إنه صيام شهرين كاملين متتابعين، أى لا يفصل بينهما فطر، وذلك لتستل منه النزعة الوحشية، وتزكو أخلاقــه، ولا ريب فإن صيام ستين يوماً متتابعة صياماً كاملاً محافظاً فيــه على الآداب، كفيل بإعادة المرء إلى سلوك الإسلام وأخلاقــه الحميدة، فإنه يحصل مثله بشهر، فكيــف إذا كــان الــصيام شهرين متتابعين؟ ٢

- والظهار – وهو قول الرجل لامرأته: أنت علــى كظهــر أمى، أو نحوه، جريمة كبيرة(١٣) سماه الله تعالى (منكراً من القول وزوراً) لأنه إحالة حكم الله وتبديله بدون إذنــه، لــذلك كانت كفارته إذا لم يتبعه فوراً بالطلاق، كفارة عظمى وهــى تحرير رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، كما بين الله تعالى ذلك بقوله: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيــرٌ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْــكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾- [المجادلة: ٣-٤].

فأوجب الله عز وجل عند العجز عن تحرير الرقبة لفقدها أو فقد ثمنها، أو ارتفاعه عن حده، الانتقال إلى صــيام شــهرين متتابعين، وذلك لما فى هذا الصيام من الوفــاء بحبــر تلــك

الإساءة لعظم أجره، ولما فيه من تقويم للسلوك، وتهذيب للأخلاق، ولذلك اشترط فيه التتابع حتى يؤتى ثماره فى التزكية.

ولما كان الظهار قد يقع من الكبار الذين قد يعجزون عن القيام بصيام شهرين متتابعين، جعل الله تعالى لهم مندوحة فى الانتقال إلى إطعام ستين مسكيناً.

بخلافه فى القتل الذى غالباً ما يكون من الأقوياء، فإن الله لم ينص فيه على بدل عن الصيام، لما يريده لهم من الزكية فى الأخلاق، لأن تجرأهم على القتل يدل على انحطاط أخلاقه، وإن كان خطأ، فإنه يدل على التهاون فى الحذر والاحتياط لحماية النفس والله أعلم.

٣- واليمين - وهو الحلف بالله او باسم من أسمائه أو صفة من صفاته الأخرى - حقه أن يحفظ، لما فى حفظه من إشعار بتعظيم الله تعالى وتبجيله، وكثرة الحلف تؤذن بأن القلب غير عامر بتعظيم الله وإجلاله كما ينبغى.

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بأن يحفظوا إيمانهم فقال: ﴿ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ ﴾[المائدة: ٨٩]، وحفظها هو أن يضن بها ولا يبذلها فى كل أمر، أو بأن يبر فيها ما استطاع إذا لم يفت بها خير، أو أن يكفر عند الحنث(١٤)، ونهاهم عن كثرة الحلف فقال: ﴿وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾- [البقرة: ٢٢٤]، وقال: ﴿وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً (١٥) بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾- [النحل: ٩٤].

فإذا لم تفد هذه التوجيهات الإلهية من أوامر ونواه، فحقه أن يزجر، وذلك إذا لم يف بيمينه، وحنث فيها، بأن يكفر عن يمينه بما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾- [المائدة:٨٩].

فجعل الصيام كفارة لليمين عند العجز عن الطعام أو العتق، وذلك لما فى الصيام من فضل يجبر الإساءة التى حصلت فى عدم الوفاء باليمين، وهو يهذب النفس ويزكى أخلاقها فى تعظيم الله تعالى وإجلاله كما يجب أن يكون على المؤمنين، على ما مر تقريره.

فترى أن الله تعالى أوجب الصيام فى مثل هذه الإساءات التى قد تحصل من المرء مما يكون فى عباداته أو معاملاته أو سلوكه، وجعله قرين المال الذى يكون إخراجه فى مثل هذه الأحوال على هيئة عتق أو إطعام، زاجراً للنفس عن العود إلى مثل تلك الإساءة لما جبلت عليه النفس من الشح فى المال، فله أبلغ الأثر فى استقامة الأخلاق والسلوك، وجعل الصوم بدلاً عنه؛ لأنه يؤدى ما تؤديه الكفارة بالمال من تقويم الأخلاق "فإنه يعدل القوى الطبيعية التى هى داعية الفساد، فيرتقى المسلم به عن حضيض الانغماس فى المادة، إلى أوج العالم الروحانى، فهو وسيلة للارتياض بالصفات الملكية والانتفاض من غبار الكدرات الحيوانية"(١٦).

تنويـــــه القـــــرآن العظـــــيم بالـــــصائمين والـــــصائمات:

ولما له من ذلك الأثر العظيم، والأجر الجسيم، كـــان تنويـــه القرآن الكريم بالمؤدين له، في أوقات وجوبه، والمكثرين منه فيما سوى ذلك، تنويهاً عظيماً حيث كان يذكرهم على ســـبيل المدح والثناء والإشادة، وذلك كما في قـــول الله تعـــالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِـــعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَـــاتِ وَالـــذَّاكِرِينَ اللَّـــهَ كَثِيـــراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَـــدَّ اللَّـــهُ لَهُـــم مَّغْفِـــرَةً وَأَجْـــراً عَظِيمـــاً ﴾- [الأحزاب:٣٥].

فذكر الصائمين والصائمات ضمن أولئك الذين زكت أخلاقهم من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنـــات، وامتـــازوا بالنبوغ في الأخلاق العظيمة التي سرد ذكرها علـــى ســـبيل المدح والثناء والامتنان.

وإنما ذكر الصائمين والصائمات في سياق تعداده لأهل تلـــك المكارم الأخلاقية من قنوت وصدق وصبر وخشوع وكـــرم وعفاف وذكر لله، لأن الصيام الكامل يورث كـــل ذلـــك؛ لأن مثل تلك المكارم الأخلاقية العظيمة، إنما هي من ثمار التقوى التي يورثها الصوم، فلذلك سيق في عدادها كأنه واحد منهـــا، والله أعلم.

ولما كان الصيام بتلك المثابة، اختصه الله تعالى بالإضافة إليه كما جاء في الحديث القدسي: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ..."(١٧).

النبي صلى الله عليه وسلم للصيام تطبيق

ولما كان الصيام له تلك المكانة عند الله تعالى، وله ذلك الأثر فى التزكية، كان أحرص الخلق عليه، أكثرهم تقى، وأعظمهم خلقاً، وهو سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان يصوم صياماً يعجز عنه غيره بلا ريب، كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة تدل على إكثاره منه، وحثه عليه، وتبيينه لآدابه وأحكامه، بحيث ينوء بها الحصر هنا.

إكثاره صلى الله عليه وسلم من الصيام:

فعن كثيرة صيامه تحدثنا عائشة – رضى الله عنها – وتقول:
١- "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، قالت: وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته فى شهر أكثر صياماً منه فى شعبان"(١٨).

٢- وقال أنس –رضى الله عنه-: "ما كنت أحب أن أراه من الشهر صائماً إلا رأيته، ولا مفطراً إلا رأيتهن ولا من الليل قائماً إلا رأيته، قال: ولا مسست خزة ولا حريراً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت مسكة ولا عبيرة أطيب رائحة من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم(١٩).

٣- وكذا قال ابن عباس – رضى الله عنهما: "ما صام النبى صلى الله عليه وسلم شهراً كاملاً قط غير رمضان، ويصوم حتى يقول القائل: لا والله لا يفطر، ويفطر حتى يقوم القائل: لا والله لا يصوم"(٢٠).

فهؤلاء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يصورون لنا صيام النبى صلى الله عليه وسلم، وأنه كان من الكثرة بحيث يقول الناظر له، والمتأمل لحاله: إن الصيام دأب له وعادة أو الإفطار كذلك لكثرة ما يصوم وكثرة ما يفطر.

(وذلك لأنه كان يصوم تارة من أول الشهر، وتارة من وسطه، وتارة من آخره، فكان من أراد أن يراه فى وقت من أوقات الشهر صائماً فراقبه المرة بعد المرة فلابد أن يصادفه صائماً، على وفق ما أراد أن يراه)(٢١).

صيامه صلى الله عليه وسلم أياماً بعينها:

الاثنين والخميس:

وكان مع ذلك يصوم أياماً بعينها من الأسبوع أو الشهر أو السنة.

١- "فكان عليه الصلاة والسلام يتحرى صيام يوم الاثنين والخميس"(٢٢).

٢- ويقول كما فى رواية أخرى: "تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم"(٢٣).

ثلاثة أيام من الشهر:

٣- وسئلت عائشة – رضى الله عنهما –: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت: نعم، قيل لها: من أى أيام الشهر كان يصوم؟ قالت: لم يكن يبالى من أى أيام الشهر يصوم"(٢٤).

٤- وقالت عائشة – رضى الله عنها –: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من الشهر: السبت والأحد

والاثنـــين، ومـــن الـــشهر الآخـــر: الثلاثـــاء والأربعـــاء والخميس"(٢٥).

٥- وقال عبدالله بن مسعود – رضى الله عنه -: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من غرة كـــل شـــهر ثلاثـــة أيام"(٢٦).

٦- وقال عبدالله بن عباس – رضى الله عنهما-: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر أيام البيض فى حـــضر ولا سفر"(٢٧).

وأيام البيض: هى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر القمرى.

وكان يوصى بذلك أصحابه كما قال أبو هريرة – رضى الله عنـــــه-:

٧- أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بثلاث: صيام ثلاثـــة أيام من كل شهر، وركعتى الـــضحى، وأن أوتـــر قبـــل أن أنام"(٢٨).

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على مواظبته صلى الله عليه وسلم على صيام أيام بعينها من كل شهر، وهى تـــدل علـــى حرصه صلى الله عليه وسلم على الصيام ومواظبتـــه عليـــه، ومحبته له.

٨- ولقد دل على ذلك أيضاً قول أبى الدرداء(٢٩) – رضـــى الله عنه-: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ســـفر فى يوم حار، حتى يضع الرجل يده على رأسه من شده الحر،

وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله وعبد الله بن رواحة"(٣٠).

فكونه صلى الله عليه وسلم يحرص على الصيام فى السفر، وهم فى تلك الحالة من الحر، وقد أباح الله تعالى الإفطار فيه بقوله سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾- [البقرة: ١٨٤]، فكونه يصوم والحال ما ذكر يدل دلالة واضحة على عظيم رغبته فى الصوم، كما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ نفسه بعزائم الأمور، مالم يغلب جانب بيان الشرع، فإنه حينئذ يأخذ بالرخص وما فيه رفق بالمسلمين كما فعل فى غزوة الفتح، وكانت فى رمضان من العام الثامن، حيث صام حتى بلغ الكديد(٣١)، ثم أفطر وافطر الناس معه(٣٢).

مواصلته صلى الله عليه وسلم للصوم:

ولتلك الرغبة الكاملة والمحبة العظيمة من النبى صلى الله عليه وسلم للصوم، كان يواصل الصوم الأيام بالليالى "ليوفر ساعات ليله ونهاره للعبادة"(٣٣)، والأدلة على ذلك كثيرة:

١- فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم والوصال، إياكم والوصال، قالوا: فإنك تواصل يا رسوم الله، قال: إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى، فاكلفوا(٣٤) من العمل ما تطيقون"(٣٥).

٢- وعن أنس - رضى الله عنه - قال: واصل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر شهر رمضان، فواصل ناس من المسلمين، فبلغه ذلك فقال: "لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالاً

يدع المتعمقون تعمقهم(٣٦)، إنكم لستم مثلى، أو قال: لـــست مثلكم، إنى أظل يطعمنى ربى ويسقينى"(٣٧).

٣- دخل على النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال: هـــل عنـــــــــــدكم مـــــــــــن شـــــــــــئ؟
فقلنـــــــــــــــــــــــــــــــــا: لا
قـــــــــال: فـــــــــإنى إذا صـــــــــائم،
ثم أتانا يوماً آخر فقلنا: يـــا رســـوم الله أهـــدى لنـــا حـــيس، فقال: أرينيه فلقد أصبحت صائماً فأكل"(٣٨).

٤- وفى رواية قالت: كان النبى صلى الله عليه وسلم يـــأتينى فيقـــــــــول: أعنـــــــــدك غـــــــــداء؟
فـــــأقول: لا، فيقــــــول: إنــــــى صـــــائم،
قالت: فأتانى يوماً فقلت: يا رسول الله إنه قد أهديت لنا هدية، قـــــــــال: ومـــــــــا هـــــــــى؟
قلـــــــــــــــت: حـــــــــــــيس،
قال: أما إنى قد أصبحت صائماً ثم أكل"(٣٩).

فهكذا كان صوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا كانت رغبته فيه.

وما ذلك إلا لما يعلمه فى الصوم من عظيم الفضل، وكبيـــر الأجر، وبليغ الأثر فى تهذيب النفس، وتزكية الخلق، وهو ما كان يعبر عنه صلى الله عليه وسلم بلسانه الـــشريف ليحـــثهم عليه ويرغبهم فيه.

<u>من أقواله صلى الله عليه وسلم الدالة علـــى فـــضل الـــصوم والمرغبـــــــــــة فيـــــــــــه:</u>

وأقواله فى ذلك كثيرة جداً، ومن ذلك فى بيان فضله: قوله علية الصلاة والسلام:

١- "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"(٤٠). ومعنى إيماناً: تصديقاً واعتقاداً بأحقية فرضية صومه، ومعنى احتساباً: طلب الثواب من الله(٤١).

٢- وقوله صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد يصوم يوماً فى سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً"(٤٢)، أى: مدة سير سبعين عاماً.

٣- وقوله فيما يرويه عن ربه عز وجل: "كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: "إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به يدع شهوته وطعامه من أجلى، للصائم فرحتان؛ فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف(٤٣) فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"(٤٤).

<u>حثه صلى الله عليه وسلم على فضل صيام أيام بعينها:</u>
وكان عليه الصلاة والسلام يبين فضل صيام أيام بعينها كيوم عرفة، ويوم عاشوراء، وست أيام من شوال، وذلك بقوله صلى الله عليه وسلم:

١- "ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله، صيام عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله، والسنة التى بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله"(٤٥).

٢- وقوله صلى الله عليه وسلم فى صيام ست من شوال: "من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فذلك صيام الدهر"(٤٦). أى: أجره كأجر صيام سنة كاملة لأن الحسنة بعشرة أمثالها. إلى غير ذلك من حثه صلى الله علية وسلم على صيام أيام بعينها مما هو مبين فى مظانه.

بيانه صلى الله عليه وسلم لما في الصوم من تزكية للأخلاق:

وقد كان عليه الصلاة والسلام يبين لأمته ما يفعله الصوم من تزكية للأخلاق، ويحثهم على ما يعين على ذلك فيقول:
١- "الصيام جنة"(٤٧)، ومعنى كونه جنة: أى وقاية تقى صاحبها ما يؤذيه من الشهوات(٤٨).

وذلك لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات، فإذا كف المرء نفسه عن الشهوات فى الدنيا كان ذلك ساتراً له عن النار فى الآخرة(٤٩).

ولذلك كان عليه الصلاة والسلام ينهى أمته عن أن تهتك أستاره وتفعل ما يفسد هذه الوقاية من المحرمات فيقول:

٢- ".. فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث(٥٠) يومئذ ولا يسخب(٥١) فإن سابه أحد أو قاتلة فليقل: إنى أمرؤ صائم .."(٥٢).

٣- ويقول: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه"(٥٣).

وذلك لأن المقصود من شرعية الصوم "ليس هو نفس الجوع والعطش، بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس

الأمارة بالسوء، فإذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله إليــه نظــرة قبول"(٥٤)، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام.

٤- "رب صائم ليس له من صيامه إلى الجــوع، ورب قــائم ليس له من قيامه إلا السهر"(٥٥).

٥- وفى حديث آخر قال: "رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر"(٥٦). والمعنــى: أن من الناس من لم يستفد من صومه، فلم يؤثر فيــه تهــذيباً للنفس، وتزكية للأخلاق، وذلك من لم يــصن صــومه عــن مفسداته الحسية أو المعنوية، فراح يرفث ويفسق، وكان عليه إذا أراد أن ينال ثمرة الصوم وأجره أن يصونه عــن اللغــو والرفث والفسوق والعصيان كما قال صلى الله عليه وسلم:

٦- "ليس الصيام من الأكل والشراب، إنما الصيام من اللغــو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل: إنى صائم، إنــى صائم"(٥٧).

والمعنى: أن الصوم لا يكون بالإمساك عن الأكل والــشرب فقط، بل لابد أن يصحبه أيضاً إمساك عما ذكر مــن اللغــو والرفث؛ لأن ذلك من غايات الصيام المهمــة، والله الموفــق والهادى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا هو.

---

(١) هو معمر بن المثنى التميمى اللغوى البصرى، كان مــن أئمة العلم بالأدب والغة، وتوفى سنة ٢٠٩هــ. انظر: بغيــة الوعاة فى طبقات اللغــويين والنحــاة ص٣٩٥، والأعــلام ٢٧٢/٧.

(٢) الصحاح ١٩٧٠/٥ مادة (صوم)، وانظر التفسير الكبيــر

٥/٦٨.
(٣) التعريفات ص ١٣٦.
(٤) صاحب محاسن التأويل فى التفسير، وقواعد التحديث وغيرهما، كان إمام الشام فى عصره توفى سنة ١٣٣٢هـ انظر الأعلام ٢/١٣٥.
(٥) محاسن التأويل ٣/٧٤، وانظر من حكم الشريعة وأسرارها لحامد محمد العابدى ص١٠٤-١٠٨.
(٦) التفسير الكبير ٥/٧٠.
(٧) تفسير النسفى ١/٢٩.
(٨) انظر بعضاً من تفصيل ذلك فى النصائح الدينية مثلاً للقطب الجد عبدالله بن علوى الحداد ص٦-٨.
(٩) انظر التحرير والتنوير ١/١٥٨.
(١٠) التمتع: هو الإحرام بالعمرة فى أشهر الحج ثم الحج فى ذلك العام، والقرآن: أن يحرم بالحج والعمرة معاً.
(١١) من لبس ودهن وحلق وقلم الأظفار، وموضع بحث هذه المسألة معروف فى كتب الفقه والمناسك. وانظر الإيضاح فى مناسك الحج للإمام النووى ص ٥٢٩-٥٣٨.
(١٢) تفسير البحر المحيط لأبى حيان ٢/٨٠، وانظر التفسير الكبير للفخر الرازى ٥/١٥٨.
(١٣) ممن عدها كبيرة ابن حجر الهيتمى فى الزواجر ٢/٥٣، والألوسى فى تفسيره روح لمعانى ١٠/٢٨/٥، بل قال: إنه أخطر من كثير من الكبائر، إذ قضيته الكفر، لولا خلو الاعتقاد عن ذلك، واحتمال التشبيه لذلك وغيره اهـ.
(١٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى ص١٦١.
(١٥) أى: فساداً أو خديعة.
(١٦) انظر التحرير والتنوير ١/١٥٨.

(١٧) أخرجه البخارى فى الصوم، باب فضل الصوم ٣/٣١، ومسلم فى الصيام، باب حفظ اللسان برقم ١١٥١، من حديث أبـــــــى هريـــــــــرة رضـــــــــى الله عنـــــــه.
(١٨) أخرجه البخارى فى الصوم، باب صوم شعبان ٣/٥١، ومسلم فى الصيام، باب صيام النبى صلى الله عليه وسلم فـــى غيـــــــر رمـــــــــضان بـــــــــرم ١١٥٦.
(١٩) أخرجه البخارى فى الصوم، باب ما يذكر من صـــوم النبى صلى الله عليه وسلم ٣/٥٠، ومسلم فى الـــصيام، بـــاب صيام النبى صلى الله عليه وسلم فى غير رمضان برم ١١٥٨ واللفـــــــــــــــــظ للبخـــــــــــــــــارى.
(٢٠) أخرجه البخارى فى الصوم، الباب السابق، ومسلم فيـــه كـــــــــــــذلك بـــــــــــــرقم ١١٥٧.
(٢١) أنظـــــــــر فـــــــــتح البـــــــــارى ٩/٤٧.
(٢٢) أخرجه الترمذى فى الصوم، باب ما جاء فـــى صـــوم الاثنين والخميس برقم ٧٤٥ من حديث عائـــشة رضـــى الله عنها، والنسائى فى الصوم، باب صوم النبى صلى الله عليـــه وسلم ٤/٢٠٢، ٢٠٣، وابن ماجه فى الـــصيام بـــاب صـــيام الاثنين والخميس برقم ١٧٣٩، وقال عنه الترمـــذى: حـــسن غريـــــــب مـــــــن هـــــــذا الوجـــــــه.
(٢٣) أخرجها الترمذى فى الباب الـــسابق بـــرقم ٧٤٧ مـــن حديث أبى هريرة رضى الله عنه، وفى إســـناده محمـــد بـــن رفاعة، وهو مقبول كما فى التقريب بـــرقم ٥٨٧٩، ولكـــن للحديث شواهد ترقيه إلى مرتبة الحسن بـــل الـــصحة انظـــر إرواء الغليـــــــــــــــــــــــــــل ٤/١٠٢-١٠٤.
(٢٤) أخرجه مسلم فى الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر برقم ١١٦٠، وأبو داود فى الصوم، بـــاب مـــن

قال: لا يبالي من أى الشهر برقم ٢٤٥٣.
(٢٥) أخرجه الترمذى فى الصيام، باب ماجاء فى صوم الأثنين والخميس برقم ٢٧٤٦، وقال عنه:حديث حسن.
(٢٦) أخرجه أو داود فى الصوم، باب فى صوم الثلاث من كل شهر برقم ٢٤٥٠، والترمذى فيه، باب ماجاء فى صوم الجمعة برقم ٧٤٢، والنسائى فى الصوم، باب صوم النبى صلى الله عليه وسلم ٢٠٤/٤، وقال عنه الترمذى: حسن غريب.
(٢٧) أخرجه النسائى فى الصوم، باب صوم النبى صلى الله عليه وسلم ١٩٨،١٩٩/٤، وإسناده حسن.
(٢٨) أخرجه البخارى فىالصوم، باب صيام أيام البيض ثلاث عشرة أربع عشرة وخمس عشرة ٥٣/٣، ومسلم فى صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان برقم ٧٢١، ٧٢٢.
(٢٩) هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصارى، صحابى جليل، أسلم يوم بدر، وشهد أحداً وأبلى فيها بلاء حسناً، وكان عابداً ، مات فى أواخر خلافه عثمان بن عفان رضى الله عنه. أنظر: الاستيعاب ١٨٥/٥، والإصابة ٤٥/٣.
(٣٠) أخرجه البخارى فى الصوم، باب إذا صام أياماً من رمضان ثم سافر ٤٤/٣، ومسلم فى الصيام، باب التخيير فى الصوم والفطر فى السفر برقم١١٢٢.
(٣١) جاء تفسيره فى الرواية نفسها عند البخارى بأنه: ماء بين عسفان وقديد، وفى مراصد الإطلاع ١١٥٢/٣: على اثنين وأربعين ميلاً من مكة.
(٣٢) كما جاء فى رواية البخارى فى الصوم، باب إذا صام أياماً من رمضان ثم سافر ٤٣/٣، ومسلم فى الصيام، باب

التخيير فى الصوم والفطر فى السفر برقم ١١١٣، من حديث ابـــن عبـــاس رضـــى الله عنهمـــا.
(٣٣) قـــال ابـــن القـــيم فـــى زاد المعـــاد ٢/٣٢.
(٣٤) يقال: كلفت بهذا الأمر أكلفه، إذا ولعت بـــه وأحببتـــه. اهــــــ، النهايـــــة ٤/١٩٦.
(٣٥) أخرجه البخارى فى الصيام، باب التنكيل لمـــن أكثـــر الوصال ٣/٤٦، ومسلم فى الصيام، باب النهى عن الوصـــال فـــــى الـــــصوم بـــــرقم ١١٠٥.
(٣٦) المتعمق: المبالغ فى الأمر المتشدد فيه الـــذى يطلـــب أقـــصى غايتـــه، النهايـــة ٣/٢٩٩.
(٣٧) أخرجه البخارى فى الصوم، بـــاب الوصـــال ٣/٤١، ومسلم فى الصوم، باب النهى عن الوصال فى الصوم بـــرقم ١١٠٤.
(٣٨) أخرجه مسلم فى الصيام، باب جواز صوم النافلة بنيـــة من النهار قبل الزوال برقم ١١٥٤، وأبو داود فى الـــصوم، باب الرخصة فى النية فى الصيام برقم ٢٤٥٥، والترمذى فى الصوم باب صوم التطوع بغيـــر تبييـــت بـــرقم ٧٣٣،٧٣٢، والنسائى فى الـــصوم، بـــاب النيـــة فـــى الـــصيام ٤/١٩٣.
(٣٩) هذه رواية الترمذى فى البـــاب الـــسابق بـــرقم ٧٣٤.
(٤٠) أخرجه البخارى فى الصوم، باب فضل الصوم ٣/٣٣، ومسلم فى صلاة المسافرين، باب الترغيب فى قيام رمـــضان وهو التراويح برقم ٧٦٠، من حديث أبى هريرة رضـــى الله عنـــــــه.
(٤١) فـــــتح البـــــارى ٨/٢٥٠.
(٤٢) أخرجه البخارى فى الجهاد، باب فضل الـــصوم فـــى سبيل الله ٤/٣٢، ومسلم فى الصوم، باب فضل الـــصيام فـــى

سبيل الله لمن يطيقه برقم ١١٥٣ من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.
(٤٣) هو تغير ريحة من ترك الأكل والشرب.
(٤٤) أخرجه البخارى فى الصوم، باب فضل الصوم ٣/٣١، ومسلم فى الصيام، باب حفظ اللسان برقم ١١٥١ رقم حديث الكتاب ١٦٤، واللفظ له من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.
(٤٥) أخرجه مسلم فى الصيام، باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصوم يوم عرفه وعاشوراء والأثنين والخميس برقم ١١٦٢، من حديث أبى قتادة، والترمذى فى الصوم، باب ما جاء فى فضل صوم عرفة برقم ٧٤٩، وفى الحث على صوم عاشوراء برقم ٧٥٢.
(٤٦) أخرجه مسلم فى الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعاً لرمضان برقم ١١٦٤، من حديث أبى ايوب الأنصارى رضى الله عنه، والترمذى فى الصوم، باب ما جاء فى صيام ستة أيام من شوال برقم ٧٥٩.
(٤٧) أخرجه البخارى فى الصوم، باب فضل الصوم ٣/٣١، ومسلم فى الصيام، باب فضل الصيام برقم عام ١١٥١، وخاص ١٦٢ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.
(٤٨) النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ١/٣٠٨.
(٤٩) انظر فتح البارى ٨/٢٣٦.
(٥٠) المراد بالرفث هنا: الكلام الفاحش، وهو ما يطلق على هذا، وعلى الجماع وعلى مقدماته وعلى ذكره مع النساء أو مطلقاً، ويحتمل أن يكون لما هو أعم منها، الفتح ٨/٢٣٧.
(٥١) أى: لا يصيح.
(٥٢) هو تتمة للحديث السابق عند البخارى، وإحدى رواياته

عنـــــــد مـــــــسلم بـــــــرقم خــــــاص ١٦٣.
(٥٣) أخرجه البخارى فى الصيام، باب من لــم يــدع قــول الزور والعمل به فى الصوم ٣٣/٣ من حديث أبــى هريــرة رضـــــــــــــــى الله عنـــــــــــــــه.
(٥٤) فـــــــــــتح البـــــــــــــارى ٢٥٣/٨.
(٥٥) أخرجه ابن ماجه فى الصيام ٥٣٩/١ برقم ١٦٩٠ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، وابن خزيمة فى الــصيام ٢٤٢/٣ برقم ١٩٩٧، والحاكم فى المستدرك ٤٣١/١، وقال: صحيح على شرط البخــارى، وأقــره الــذهبى وصــححه البوصـــــيرى فـــــى مـــــصباح الزجاجـــــة ٣٠١/١.
(٥٦) حـــديث صـــحيح تقـــدم تخريجـــه ص ٢٦٠.
(٥٧) أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه ٢٤٢/٣، من حـــديث أبى هريرة رضى الله عنه، وابن حبان فى آداب الصوم ١٩٨/٤ برقم ٣٤٧٠ الإحسان، والحاكم فى الــصيام ٤١٠/١، وقـــال صحيح على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبى.

ترويض الحواس و النفس

الصــــــــوم

بفرض الصيام على المسلمين أراد لهم ربهم أن يذوق أثرياء المسلمين حياة الآخرين من إخوانه من الفقراء الذين يرون أمامهم متع الحياة الحــسية و لا يستطيعون نيلها لفقرهم و قلة أموالهم ، فالثرى مثله مثل الفقير متساو معه جائع كما هو جوعان محروم مما أمامه من متع حــسية تمامــا كمــا هــو محروم ، و لكنه يجتمع معه فى ارتفاع المتع النفسية و الروحية ، فهو فــى رحاب الله يحظى برضى الرحمان و يكف اليــد و اللــسان و البــصر عــن المحرمات فيرتقى و يعلوا حتى أن المولى عز وجل يقول عــن رائحــة فــم الصائم التى تخرج الكراهة من جوفه : ان رائحة خلوق الصائم أحــب الــى من رائحة المسك

العمل .. طريقك إلى الجنة
و العمل هو العمل بما جاء فى كتاب الله

و لقد ذكر العمل ... مرة فى القرآن الكريم
و العمل يشمل الأركان الخمسة ، و يشمل أيضا المحظورات و الممنوعات ، و سوف يدرك الإنسان الحصيف أنه ما أحل الله ما أحل لصالح حياة الإنسان ، و حرم ما حرم حفاظا على حياة الإنسان .